

موقف أبي الثناء الألوسي من الصراع المصري العثماني
في ثلاثينيات القرن التاسع عشر

The Attitude of Abū al-Thana' al-Ālūsī from the Ottoman-Egyptian Conflict in the Thirties of the 19th Century

د.علي عفيفي علي غازي¹

مركز حسن بن محمد للدراسات التاريخية، قطر

ملخص: لعب شهاب الدين محمود الألوسي دورًا بارزًا مساندًا للسلطان العثماني في صراعه مع محمد علي باشا، والي مصر (1805-1849)، إذ استعان به علي رضا باشا، والي بغداد (1831-1841)، ليراسل فيصل بن تركي آل سعود في الجزيرة العربية ليثور ضد محمد علي، وليؤل كتابًا يحث فيه الناس على طاعة السلطان والوقوف بجانبه، وهو أمر يثير إشكالية تمثل الفكرة الرئيسة لهذا البحث، إذ كيف يقف مساندًا لثورة داود باشا، والي بغداد (1817-1831)، ضد السلطان العثماني في سنة 1830، وكذلك يساند عبد الغني الجميل زاده في ثورته ضد الوالي العثماني 1831، ثم ينقلب بعد أشهر معدودات لمساندة السلطان ضد والي مصر، فيحاول البحث تبيان أسباب ذلك الانقلاب، ودوافعه، من خلال تسليط الضوء على نسب الألوسي ومولده ونشأته، وأساتذته وفكره، وموقفه من تمرد داود باشا، وثورة بغداد، والتوسع المصري في سورية، مبيّنًا أسباب انقلابه من معارضة السلطان العثماني إلى التأييد، ونتائج ذلك، وهل كان دوافعه كسب مادي أم وازع ديني؟

الكلمات المفتاحية: الدولة العثمانية، مصر، العراق، محمد علي، السلطان محمود الثاني، أبو

الثناء الألوسي

¹ - اسم ولقب المرسل: د.علي عفيفي علي غازي، مركز حسن بن محمد للدراسات التاريخية، قطر،

Abstract:Shihab ad-Din Mahmud Al-Alusi played a major supportive role for the Ottoman Sultan in his conflict with Mohammed Ali Pasha, Governor of Egypt (1805-1849). Ali Rıza Pasha, Governor of Baghdad (1831-1841), had asked his assistance in communicating with Faisal bin Turki Al Saud in Arabia to convince him to revolt against and to interpret a book encouraging people to obey and support the Sultan. This has raised a problem that will be the main topic in this research. How he supported the revolution of Davud Pasha, Governor of Baghdad (1817-1831), against the Ottoman Sultan in 1830? And how he supported Abdul Ghani Jamil Zada in his revolution against the Ottoman Governor in 1831 and then revolted after few months to support the Sultan against the governor of Egypt? The research will review the reasons and motives behind that revolt through shedding light on Al-Alusi's origin, birth, early life, masters, thought and attitude from the revolt of Davud Pasha, the revolution of Baghdad and the Egyptian expansion in Syria. It will also show the reasons behind his turning from opposing to supporting the Ottoman Sultan, the results of this turn and whether he took such attitudes for material gain or religious influences.

Keywords: Ottoman Empire, Egypt, Iraq, Muhammad Ali, Ottoman Sultan Muhmmud II, Abū al-Thana' al-Ālūsī.

● مقدمة:

يستعرض البحث سيرة أبو النشاء منذ مولده ونشأته، وتحصيله وإجازاته العلمية، ودوره في النهضة الأدبية التي شهدتها العراق في القرن التاسع عشر. فقد نهض بالأدب نخضة كبيرة، والتف حول الأدباء، ومع ذلك طارده السلطة السياسية، وظنت فيه الظنون، إذ كان للشواية تأثيرها في حياته، فسلبته وظائفه، بعد أن تطورت من التدريس عبر أمانة الفتوى إلى تدوين الآثار الدينية والأدبية والتاريخية. فقد امتاز بمواهب جمّة، وتشهد على ذلك مؤلفاته القيّمة، وتفسيره الضخم. وسيوضح أسباب مناصرته لثورة داود باشا، وثورة عبد الغني الجميل زادة، وانقلابه من المعارضة للسلطان العثماني إلى تأييده ضد محمد علي باشا، والمكتسبات التي حققها، ودوافعه، وهل كان موقفه بهدف الكسب المادي، أم بسبب وازع ديني؟

المولد والنشأة

هو أبو الثناء شهاب الدين محمود الألوسي ينتسب إلى الشجرة النبوية الكريمة¹، مفسر، ومحدث، وفقهه، وأديب، وشاعر، ولد في محلة الكرخ² ببغداد في 14 شعبان 1217هـ/ 10 ديسمبر 1802م في بيت علم³، فأبوه السيد بهاء الدين عبد الله واحد من كبار علماء بغداد، بيته كعبة للعلماء والطلاب، ومدرسًا بمدرسة جامع أبي حنيفة النعمان. تلقى على يديه الكثير من علوم الدين واللغة والأدب، حتى وافته المنية بالطاعون سنة 1246هـ/ 1830م.

الألوسي أسرة عراقية اشتهرت بالعلم والمعرفة، ومن أنجبت من العلماء والفضلاء والأدباء، تمتعت بمنزلة رفيعة، وتقدير عظيم، لمكانة أبنائها، واشتغالهم بالعلم، وتصدرهم للدرس والإفتاء والقضاء في بغداد⁴. يرجع نسبها إلى "ألوس" أو "ألوسة"، وهي بلدة على

¹ ونسبه هو: السيد أبو الثناء محمود شهاب الدين بن السيد عبد الله صلاح الدين بن السيد محمود جمال الدين أبي المعالي بن درويش بن عاشور بن محمد بن الحسين الطاهر بن علي بن الحسين بن كمال الدين بن شمس الدين بن محمد بن شمس الدين بن شهاب الدين بن أبي القاسم بن أمير بن أبي الفضل محمد بن بندر النقيب بن عيسى بن محمد بن أحمد جمال الدين بن موسى بن أحمد النقيب بن محمد الأعرج بن أحمد بن موسى المبرقع بن الإمام محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن أبي جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. يونس الشيخ إبراهيم السامرائي: القبائل والبيوتات الهاشمية في العراق، (بغداد: مكتبة الشرق الجديد، 1988)، ص 20.

² الكرخ: بالفتح، ثم السكون، وخاء معجمه، وهي نبطية، يقولون كرخت الماء وغيره من البقر والغنم إلى موضع كذا، جمعته فيه في كل موضع. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، 1977)، الجزء الرابع، ص 447.

³ أبي الثناء شهاب الدين محمود أفندي الألوسي: غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، (بغداد: مطبعة الشايندر، 1327هـ)، ص 5.

⁴ جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، تحقيق شوقي ضيف، (القاهرة: دار الهلال، د. ت.)، الجزء الرابع، ص 257، 258.

الفرات قرب عانة¹، بمحافظة الأنبار غرب العراق، حيث فرّ إليها جد هذه الأسرة من وجه المغول، عندما داهموا بغداد 656هـ / 1258م بقيادة هولاكو. تمتد بنسبها إلى سبط الرسول، صلى الله عليه وسلم، فهي عائلة علوية النسب، آلوسية الموطن، بغدادية السكن، ضليعة في الأدب. عُدّ الألوسي عمادها وُدّة تاجها.

في هذا البيت العلمي نشأ أبي الثناء، وسمت نفسه إلى طلب العلم وتحصيله، فعنيّ والده بتربيته وتنشئته، على ما يُنشأ عليه طلاب العلم في زمانه، فلقنه علوم اللغة العربية: نحوًا وبلاغة واشتقاقًا وعروضًا، وبدأ حفظ القرآن الكريم منذ صغره، وظهر عليه النبوغ في سن مبكرة، فحفظ الأجرومية في النحو، وألفيه ابن مالك، ومنظومة الرحبية في علم الفرائض، وقرأ على أبيه الفقه الحنفي والشافعي، وأحاط ببعض الرسائل في المنطق، والتفسير والحديث، وحفظ كل هذه المتون قبل أن يبلغ الرابعة عشرة من عمره².

بعد أن استوفى "الغرض من علم العربية"، وحصل "طرفًا جليلا من فقه الحنفية والشافعية"، وأحاط "خبيرًا ببعض الرسائل المنطقية، والكتب الشريفة الحديثية"³، أتم دراسته على أيدي الكثير من علماء العراق، كما سيرد لاحقًا، وكانت خاتمة إجازته⁴، "لما بلغ من العمر نحو إحدى وعشرين"⁵، على يد الشيخ علاء الدين الموصلّي، عام 1238هـ / 1823م في يوم مشهود حضره علماء وأدباء ووجهاء بغداد، وممن حضر هذا الاحتفال الحاج نعمان الباجه جي الذي أعجب بأبي الثناء، واقترح عليه أن يلتحق مدرسًا بمدرسته، واستجاب الألوسي، فنال، بعد الإجازة، منصب التدريس بتلك المدرسة في محلة نهر المعلى.

¹ خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، (بيروت: المؤلف، 1969)، الجزء الأول، ص 18.

² محمد رجب البيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، (دمشق: دار القلم؛ بيروت: الدار الشامية، 1995)، الجزء الثاني، ص 34.

³ أبو الثناء الألوسي: المصدر السابق، ص 6.

⁴ راجع نص إجازته في عباس العزاوي: ذكرى أبي الثناء الألوسي، (بغداد: شركة التجارة والطباعة العالمية، 1958)، ص 18، 19.

⁵ أبي الثناء الألوسي: المصدر السابق، ص 20.

كان أبو الثناء، يدرّس في مدرسة خاله الحاج عبد الفتاح الراوي¹، الذي كان يهمل شؤونها، فلما انتقل إلى مدرسة الحاج نعمان الباجه جي سعى لنقل تلاميذه إليها، إذ كانت مُجهّزة بكل ما يلزم لضمان راحة المتعلمين، ونتيجة لذلك، حدثت وشاية بينه وخاله، فثارت ثائرة الأخير، وشن حملة شعواء على ابن أخته، شايعه فيها أولاده وأتباعه، ومضى أقارب أبي الثناء في خصومته، فحاولوا أن يوغروا صدر داوود باشا والي بغداد (1817-1831) عليه، ولكنه لم يصدّق وشايتهم؛ بل كان ينظر بعين الارتياح إلى تفوق الألوسي؛ لذا أبقاه في منصب التدريس. ومع ذلك لم يطمئن الحاج أمين الباجه جي، إلى بقاء أبي الثناء في مدرسة أخيه الحاج نعمان، وهو من عرف أدب أبو الثناء وعلمه وفضله، فطلب إليه أن يترك التدريس بها، وذكر أنه قائم بإنشاء مسجد ومدرسة، ويطلبه خطيباً وواعظاً في مسجده، ومدرساً في مدرسته، ووعدته أن يدفع مرتبه فترة انتظاره إكمال البناء، وبالفعل وفي بوعوده، فتحسنت حالة أبي الثناء، وسمت منزلته، فأصبح "أمير البيان بحر العلوم العقلية والنقلية، المفسر المحدث الفقيه الأصولي، المتكلم النظام المحجاج، المؤرخ، مفتي بغداد"². "أية من آيات الله العظام، ونادرة من نواذر الأيام"³.

● أساتذته وفكره

تلقى العلم عن عدد من المدرسين والعلماء لعبوا أدواراً خطيرة في تاريخ العراق منهم⁴: خالد النقشبندي¹، شيخ الطريقة النقشبندية، والشيخ عبد العزيز الشواف، والعلامة

¹ ولد سنة 1180هـ/ 1766م، تلقى العلوم العقلية والنقلية على والده وغيره من علماء عصره، وصارت داره موئلاً لطلاب العلم، أسند إليه التدريس في مدرسة شهاب الدين السهوردي، توفي 1242هـ/ 1826م. السيد محمد المحلاوي البغدادي: تاريخ الأسر العلمية في بغداد، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1997)، ص 75، 76.

² يونس السامرائي: المرجع السابق، ص 20.

³ أكرم علي حمدان: "الجانب الصوفي في تفسير روح المعاني"، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 14، العدد الثاني (يونيو 2006)، ص 77.

⁴ محمد البيومي: المرجع السابق، ص 34.

أمين الحلبي، والشيخ السلفي المحدث علي السويدي²، وأخذ علم التفسير وجميع العلوم العقلية والنقلية عن الشيخ محمد العمادي، والعالم الأديب علاء الدين الموصلبي، الذي لازمه أربعة عشر عامًا تقريبًا، وكانت خاتمة إجازته على يديه، كما سبق الذكر، وقال عنه "لم أزل عنده، استنشق شبحه ورنده، إلى أن تخرجت به وتأديت بأدبه"³، وقد استجاز هؤلاء، وغيرهم من علماء بيروت ودمشق⁴، في علوم اللغة والأدب والفقه والحديث، وكان

¹خالد بن أحمد بن حسين، أبو البهاء، ضياء الدين النقشبندي، صوفي، ولد في قسبة قرى طاغ، من بلاد شهر الزور، عام 1190هـ/ 1776م والمشهور أنه من نسل عثمان بن عفان، هاجر إلى بغداد في صباه، وهاجر إلى الشام سنة 1238هـ/ 1822م، وكان يسعى إلى تصفية الأحقاد بين الزعماء الأكراد، واستطاع أن يكون جماعة كبيرة من المريدين على مختلف المستويات، ويبدو أن السلطات العثمانية خشيت من النمو المطرد لمريديه فعملت على مطاردته وتشريده. توفي في دمشق بالطاعون سنة 1242هـ/ 1827م. خير الدين الزركلي: **المرجع السابق**، ج 2، ص 294؛ أبي الثناء الألوسي: **المصدر السابق**، ص 17، 18؛ كلوديبوس جيمس ريج: **رحلة ريج المقيم البريطاني في العراق عام 1820 إلى بغداد وكردستان وإيران**، ترجمة اللواء بهاء الدين نوري، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2008)، ص 227، 228؛ عثمان بن سند الوائلي البصري: **مطالع السعود تاريخ العراق من سنة 1188 إلى سنة 1242هـ**، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف (الموصل: مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، 1991)، ص 17، 18.

²علي بن محمد سعيد بن عبد الله السويدي، البغدادي، العباسي، محدث، مؤرخ، متكلم، أديب، ناظم، ناثر، ولد ببغداد، وتوفي في دمشق سنة 1237هـ/ 1821م. عمر رضا كحالة: **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993)، ج 2، ص 464؛ **مجلة لغة العرب**، السنة 2، الجزء 9، (آذار 1913)، ص 383-385.

³أبي الثناء الألوسي: **المصدر السابق**، ص 9.

⁴منهم محدث دمشق الشيخ محمد بن عبد الرحمن الكزبري، ومفتي بيروت الشيخ عبد اللطيف. جرجي زيدان: **تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر**، (القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، 2011)، الجزء الثاني، ص 225، 226. وكان الحصول على إجازة العالم الجليل الكزبري (ت 1220هـ/ 1805م) أمر يفتخر به علماء ذلك العهد. أبي الثناء الألوسي: **المصدر السابق**، ص 19؛ عثمان بن سند الوائلي البصري: **المصدر السابق**، ص 18.

لتلقيه العلم عن هؤلاء العلماء تأثيراً كبيراً في تكوينه السياسي، حتى إنه يمكن القول: إن مواقف السياسية كانت امتداداً لاتبهاات بعض أساتذته.

يذكر خورشيد باشا، عن تعليمه وخاتمة إجازته في رحلته "سياحتنامه حدود" أن "من المدارس المشهورة في بغداد المدرسة المعروفة باسم المدرسة الخاتونية نسبة إلى عاتكة خاتون، وكانت في الأصل منزلاً لها، أوقفتها قبل ثلاثين عاماً تقريباً (من عام 1878 تاريخ الرحلة) لتكون مدرسة، كما أوقفت بها ثلاثمائة كتاب، إلا أن معظم هذه الكتب تلفت لتداولها بين الأيادي، ولم يتبق منها إلا جزءاً بسيطاً بقي على حاله، ويبلغ إيراد هذه المدرسة من أوقافها عشرين ألف قرشاً تقريباً، وقد كان المرحوم علي أفندي الموصللي، وهو من مشاهير العلماء في بغداد في عهد المرحوم داوود باشا يُدرّس في تلك المدرسة، وقد استكمل السيد محمود أفندي الألوسي تعليمه فيها على يد علي أفندي الموصللي، وحصل منه على الإجازة، وكان يتولى شؤون تلك المدرسة النقباء، أما نظارتها فتمنح لمن يتولى منصب الإفتاء"¹.

حين بلغ أبي الثناء الألوسي العقد الثالث من عمره أصبح مدرساً في عدة مدارس كمدرسة مسجد الملا عبد الفتاح، والمدرسة العمرية الملحقة بجامع القمرية بمحلة الكرخ، ومدرسة الحاج نعمان الباجة جي في محلة عمار، ومدرسة الحاج أمين جلبي في رأس القرية، وتولى صدارة التدريس في المدرسة القادرية، والمدرسة المرجانية، وكان يدرس في اليوم أربعة وعشرين درساً²، ولما ابتدأ بتأليف تفسيره اقتصرت دروسه على ثلاثة عشر درساً يومياً³. وقصد إليه العلماء والفقهاء من سائر أقطار المعمورة، وكان له مجلس حافل في محلة العاقولية بالرصافة، يرده طالبي العلم والمعرفة، منهم: الشيخ عبد الباقي العمري، والشاعر عبد الغفار

¹ خورشيد باشا: رحلة الحدود بين الدولة العثمانية وإيران، ترجمة مصطفى زهران (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2008)، ص 128.

² محمود شكري الألوسي: المسك الأذفر، (بغداد: مطبعة الآداب، 1930)، ص 8.

³ أحمد لطيف الجناي: علوم القرآن الكريم، حضارة العراق، بغداد: 1985)، ج 11، ص 55.

الأخرس¹، والخطاط أحمد أفندي القايمقجي²، وقد حفظ كتاب حديقة الورد للشيخ عبد الفتاح الشواف³ أخبار هذا المجلس، ورغم ذلك كان يداوم على حضور مجلس وعظ عبد الغني الجميل زادة⁴ في مسجد آل جميل في محلة قنبر علي، الذي كان يحضره ويداوم على دروسه الكثير من علماء بغداد.

انتعشت الحركة العلمية والأدبية كثيراً في بغداد بفضل الألوسي، حتى أن أحد الباحثين استدل بوجوده في القرن التاسع عشر على أن النهضة العلمية في العراق ترجع إلى

¹ من نوابغ الشعراء، قوي الشاعرية واسع الخيال، ولد في الموصل نحو سنة 1220هـ/ 1805م ونزح إلى بغداد، سمي الأخرس للكنة في لسانه، جمع شعره في ديوان طبع في الآستانة عام 1304هـ/ 1886م "الطراز الأنفس في شعر الأخرس"، توفي 1290هـ/ 1873م. جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج4، ص 216؛ تراجم مشاهير الشرق، ج2، ص 33؛ عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ج 2، ص 174.

² إبراهيم الدروي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد: مطبعة الرابطة، 1958، ص 27.

³ عبد الفتاح بن سعيد البغدادي، الشهير بالشواف، أديب، ناثر، ناظم، مؤرخ، من آثاره حديقة الورد في مدائح شيخه أبي الثناء شهاب الدين الألوسي في مجلدين، توفي سنة 1262هـ/ 1846م. خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج 4، ص 36؛ عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ج 2، ص 182.

⁴ هو المولى السيد عبد الغني جميل أفندي ابن الشيخ محمد جميل أفندي ابن الشيخ عبدالجليل أفندي ابن الشيخ السيد عبدالجميل أفندي الحسيني. فردوس إسماعيل عواد: "عبد الغني جميل حياته وشعره"، مجلة دراسات تروبية، العدد السابع (تموز 2009)، ص 227. أصل نسبه من سورية، ثم سكنت عائلته بغداد، حيث ولد بها في 20 ذي القعدة 1194هـ/ 1780م، جعلته نشأته في بيت علم، يبحث عن المعرفة، ويتفقه في الدين، حتى صار من علماء بغداد المعروفين، ذوي الوجاهة والزعامة في الأوساط العراقية، وتقلد مناصب دينية وسياسية، وكان عالماً متضللاً وشاعراً وكاتباً وفقهياً ومحدثاً، وكان له مجلساً للوعظ والإرشاد في مسجد آل جميل، في محلة قنبر علي، الذي كان يحضره، ويداوم على دروسه الكثير من علماء بغداد، منهم أبي الثناء الألوسي، وتوفي في 9 ذي الحجة 1279هـ/ 27 مايو 1863م. علي عفيفي علي غازي: "ثورة عبد الغني الجميل زادة في بغداد 1832"، مقبول للنشر في أبحاث ندوة 25 يناير 2011 بين ماضي الثورات العربية وحاضرها، (القاهرة: الجمعية المصرية للدراسات التاريخية والمجلس الأعلى للثقافة، 2012).

ذلك القرن، لا إلى القرن العشرين، كما ادعى غيره، ذلك أن البيئة العلمية في ذلك العصر، "مهما قيل عنها، كانت تسمح بوجود عملاق كبير، أدى دوره الفكري أحسن أداء"، بل إنه يذهب إلى أن "الاستشهاد بالإمام الألوسي في هذا المجال كافٍ لمنع اللجاج الصاخ بحول ابتداء النهضة العلمية بوادي الرافدين"¹. ويرجع ذلك لما تركه من المؤلفات الكثيرة، منها: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، وهو تفسير ذي قيمة علمية عالية بين كتب التفسير².

وله كتاب: الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية، يحتوي علي إجابة عن ثلاثين مسألة وردت من إيران في التفسير واللغة والفقه والعقائد والمنطق وعلم الفلك، وغير ذلك. وكتاب: الأجوبة العراقية عن الأسئلة الأهورية، ذبَّ فيه عن أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم، وكافأه السلطان عليه بمكافأة عظيمة، وطبع في بغداد سنة 1301هـ/ 1883م. وكتاب: غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب، ذكر فيه خبر رحلته إلى إسطنبول، وقد طبع في بغداد سنة 1317هـ/ 1899م. وله كتابان آخران مطبوعان عن رحلته: نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول، ونشوة المدام في العودة إلى دار السلام³. وتصل مؤلفاته لحوالي اثنين وعشرين كتاباً⁴، ما بين المطبوع والمخطوط والمفقود،

1 محمد رجب البيومي: المرجع السابق، ص 33.

² طبع لأول مرة ببولاق بمصر سنة 1301هـ/ 1883م، وطبع بعد ذلك طبعات أخرى آخرها في ستة عشر مجلداً سنة 1978 عن دار الفكر ببيروت، بتحقيق محمد حسين العرب. بلال علي العسيلي: منهج الإمام الألوسي في القراءات وأثرها في تفسيره روح المعاني، رسالة ماجستير (غزة: كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، 2009)، ص 42. وعن خصائص منهجه، راجع: أحمد الجنابي: المرجع السابق، ص 56-58.

³ فردينانتوتاليسوعي: المنجد في الأعلام، (بيروت: دار المشرق، 1978)، ص 5.

⁴ جرجي زيدان: تراجم مشاهير الشرق، ص 226، 227؛ إبراهيم الدروي: المرجع السابق، ص 29؛ إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (استانبول: وكالة المعارف الجليلة، 1955)، ص 418، 419.

تميزت جميعها "بالإحاطة والعمق، واستقلال الفكر وحرية، مع روعة البيان، وحسن الافتنان في صياغة معانيه وأفكاره"¹.

كما كتب أبو الثناء المقامات، والتي تمثل النثر القديم بأبهى أشكاله، في حديث أدبي بليغ يوجه بشكل مباشر على نحو خطابي. ويذهب مؤلف كتاب المقامة² إلى أنه من أشهر من قلدوا الحريري في تأليف المقامات. كما أن له آثار شعرية إلا إنه ليس له ديوان مطبوع، وفي مجموعة عبد الغفار الأخرس³، شيء من شعره.

وعلى الرغم من تقلده الإفتاء على المذهب الحنفي إلا أنه كان سلفي الاعتقاد، متأثراً بدعوة محمد بن عبد الوهاب ذات الأثر الواضح في إحياء الدعوة السلفية، وكان لها التأثير الكبير في أرجاء العالم الإسلامي⁴ والعراق، ولعله في ذلك امتداداً لأستاذه الشيخ علي السويدي، الذي تمكن من إقناع الوالي سليمان باشا الصغير (1807-1810) بقبول إتباع أحكام الدعوة السلفية دون المجاهرة بذلك⁵، خوفاً من الدولة العثمانية التي حذرت من أثر هذه الدعوة على البلاد العربية، فسخرت العلماء للرد عليها، وعلى محمد بن عبد الوهاب، والظعن فيه.

¹ أكرم حمدان: المرجع السابق، ص 78.

² شوقي ضيف: المقامة، (القاهرة: دار المعارف، 1954)، ص 78

³ عباس العزاوي: مجموعة عبد الغفار الأخرس، (بغداد: شركة التجارة والطباعة، 1949)؛ وراجع مؤلفه غرائب الاغتراب، المصدر السابق، ص 210، 211، ومحمود شكري الألويسي: المرجع السابق، ص 9، 10، ص 34-38.

⁴ عن تأثير دعوة ابن عبد الوهاب، راجع: عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: "تأثر حركة الإصلاح الديني والاجتماعي في مصر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية"، مجلة الدارة، السنة 7، العدد 2 (محرم 1402هـ/ نوفمبر 1981م)، ص 104؛ عبد الفتاح مقلد الغنيمي: "أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في غرب أفريقيا"، مجلة الدارة، السنة 5، العدد 3، (ربيع الثاني 1400هـ/ مارس 1980م)، ص 90.

⁵ السيد محمد الخلاوي البغدادي: المصدر السابق، ص 165.

● موقفه من تمرد داوود باشا

كان لمثل هذا الشباب أن يُشارك في التوجيه السياسي للعراق، فهو معقد أنظار الشباب من أهل العلم، وللكبار منهم فيه آمال كبيرة، فعندما عزم السلطان العثماني محمود الثاني (1808-1839) على استعادة حكمه المباشر على العراق اعتقد أن موقف داوود باشا الداخلي حرج للغاية، وبأنه ليس من الضروري إرسال حملة لإقصائه عن الحكم، وإنما يكفي أن يرسل إلى بغداد مبعوثاً من قبله يحمل فرماناً بعزله سينضم الناس مديون وعسكريون إليه، وأن داوود لن يجد وسيلة لضمان حياته سوى أن يسلم مقاليد الولاية إلى مبعوث السلطان، وفعلاً أرسل السلطان مبعوثاً إلى بغداد لإخطار داوود بقرار العزل ولتسلم الولاية منه، هو صادق أفندي فلما كشف لداوود عن هدفه، فما كان منه إلا أن قتله¹، معتقداً أنه بذلك سيرغم الباب العالي على قبول الأمر الواقع².

لكن الحقيقة أن فكرة القضاء على حكم داوود، وعلى العصبية الحاكمة، كانت قد أصبحت ركناً رئيساً من أركان سياسة السلطان محمود الثاني، لأنه خشي أن تؤدي السياسة الإصلاحية لداوود باشا إلى أن يخرج العراق عليه، مقلداً محمد علي باشا والي مصر (1805-1849) فعزم السلطان، عندما علم بذلك، على تجريد حملة كبيرة ضده، ولكن قواته كانت في وضع حرج للغاية في أعقاب القضاء على الإنكشارية 1826، وغرق أسطوله في معركة نوارين البحرية 1827، وخروجه من حرماً مدمرة مع روسيا 1829 استنفدت الكثير من إمكانياته العسكرية والاقتصادية، ولهذا كان من العسير عليه أن يُرسل جيشاً كبيراً إلى العراق في مثل هذه الظروف.

¹ وعندما علم محمد علي بأمر مقتل مبعوث السلطان العثماني بعث إليه يعلن عن استعداده لأن يُصدر أوامره لجيشه ليقبض على داوود الذي دنس يديه بدم مبعوث السلطان، مؤكداً على أنه لو كانت لديه قوة بجوار العراق لفعل ذلك دون انتظار أوامر السلطان. دار الوثائق القومية: دفاتر ديوان المعية سنوية تركي، دفتر 40، من محمد علي إلى برتو أفندي، في 19 رجب 1246هـ/ 4 يناير 1831م.

² عباس العزاوي: تاريخ العراق بين إحتلالين، (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، 1953)، الجزء 5، ص 301، 302.

ورغم ذلك أصّر الباب العالي على إخضاع داوود باشا، وقرّر أن يوجه ضربة نهائية للمماليك في العراق، وأخذ يبحث عن والي يستطيع أن ينفذ هذه الرغبة، فوجد لدى علي رضا باشا، والي حلب، الاستعداد للقيام بتلك المهمة، فأسند إليه ولاية بغداد وديار بكر والبصرة، بالإضافة إلى ولاية حلب، وكان علي رضا باشا خلال حكمه في حلب مطلع على أمور العراق، وعلى صلات قوية بأعيانه وذوي الرأي فيه، لذلك كان من اليسير عليه أن يجمع حوله الناقمين على حكم داوود، أو الطامعين في الحصول على الحكم، وكان على رأسهم والي الموصل الجديد قاسم العمري، وبعض زعماء المماليك، وشيوخ العشائر العربية. هذا بالإضافة إلى أن فرمان السلطان كان واجب الطاعة، وذو مفعول عجيب في تفكيك قوى الثوار، وفي انضمام كبار رجال الولاية إلى رجال السلطان، وبالفعل بدأت أفواج الخارجين تفدّ على الباشا، وانضم إليه شيوخ عشائر شمر الجربا، وشيوخ عشيرة العقيل، وقاسم العمري والي الموصل عدو داوود اللدود.

وكان تعيين داوود باشا للألوسي مدرسًا في مدرسة الحاج أمين الباجه جي¹، كما مر بنا، بداية ظهوره، وبمرور الوقت توثقت الصلة بين الألوسي وداوود باشا، ولكن جاءت هذه الروابط الوطيدة بين الرجلين في وقت كان السلطان العثماني يعد حملة كبيرة لطرد داوود باشا من بغداد، وللقضاء التام على المماليك.

وفعلا حشد علي رضا باشا، والي حلب، جيشًا كبيرًا، لتحقيق تلك الأهداف، وتحرك به من حلب في أوائل فبراير 1831، ولم تكد أخبار تحرك هذا الجيش تصل إلى بغداد حتى بدأ فيها طاعون فظيع قلب كل الخطط التي وضعها داوود باشا لمقاومة الجيش القادم، وجعل من بغداد كالريشة التي في مهب الريح لا تملك من أمرها شيئًا، وفاض النهر في أواخر أيام الطاعون، ولم يكن في المدينة من يقدر على مكافحته فأغرق الكثير من محلاتها²، في الوقت الذي وصلت فيه طلائع الجيش السلطاني إلى بساتين الكاظمية على

¹أبي النشاء الألوسي: المصدر السابق، ص 21.

²يوسف عز الدين: داوود باشا ونهاية المماليك في العراق، (بغداد: مطبعة الشعب، 1976)، ص

بعد أميال قليلة شمالي بغداد، بقيادة قاسم العمري ومعه صفوق شيخ عشائر شمر الجريا وسليمان الغنام شيخ عشائر العقيل ويوودة¹ ماردين².

وحينما اقترب قاسم من بغداد راسل علمائها وأعيانها يحثهم على طاعة السلطان، وطرد الوالي المعزول، الأمر الذي أدى إلى مظاهرة عارمة اجتاحت بغداد من شمالها إلى جنوبها، أحاط المتظاهرون بمقر الوالي، وأخرجوه منه، وذهبوا به إلى دار صالح بك بن سليمان باشا الكبير والي بغداد (1779-1802) لكي يكون وديعة لدية حتى يُجرى تسليمه إلى الوالي الجديد عند قدومه. وحين ثار أهل بغداد انضم الألوسي إليهم، مقارناً بين أعمال داوود باشا الإصلاحية: الاقتصادية والثقافية، وبين من سبقوه من ولاة المماليك والعثمانيين فيجد فرقاً شاسعاً، فقد انجذب العراقيون إلى خطواته الإصلاحية في غبطة وتعاون، حيث استقدم عدداً من الخبراء الأوروبيين، وعهد إليهم بإنشاء المصانع وبناء المدارس، وأقام مطبعة جديدة، وأصدر صحيفة "جurnal العراق" وأعاد تعمير المساجد القديمة وأودعها نفائس الكتب، محاولاً من خلال الإصلاحات أن يقتبس من حضارة الغرب ما يستطيع به أن يدعم قوى العراق الاقتصادية والعسكرية، وكان لهذه الجهود أثر كبير في تحريك الحياة الراكدة.

ومن هنا وجد الألوسي أن من واجبه أن يعين القائد المصلح في نضاله، فجمع الناس من حوله، وشارك في تهيئة الرأي العام لشد أزره، ومعاونته ضد الجيش العثماني، وأغلب الظن أن الألوسي وغيره من علماء العراق، كانوا يعتقدون أن جيش المماليك قد أعد إعداداً حديثاً، وأنه قادر على رد هجوم جيش علي رضا باشا، وأن داوود سيخرج منتصراً من المعركة المنتظرة، ولكن الظروف كانت أقوى وأشد، فقد أحكم الجيش المهاجم حصاره على المدينة، وشاءت الظروف أن ينتشر بها وباء الطاعون، ثم يعم البلاء بفيضان

¹ لفظة صقلية تعني الرئيس تداولها الأتراك بمعنى نائب الوالي أو المتسلم. دوبريه: رحلة دوبريه إلى العراق 1807-1809، ترجمة الأب بطرس حداد (بغداد: شركة الوراق للنشر المحدودة، 2011) ص 33.

² عبد العزيز سليمان نوار: داوود باشا والي بغداد، (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1986)، ص 261.

نهر دجلة، بمياه كاسحة أغرقت المدينة، فرأى داوود أن يستسلم، ودخل قاسم العمري بغداد، حيث استقبله أهلها استقبالاً "محفوفاً بالعزة والإجلال"¹؛ فاعتقد أن بغداد أصبحت في قبضته، فأرسل إلى علي رضا باشا في الموصل يدعو للمجيء سريعاً. وترتب على سماع الجماهير البغدادية عن بدء تحركات محمد علي في الشام، أن ثاروا على قاسم العمري، الذي كان ينتظر تسليم داوود باشا إليه، كما سبق الذكر، وهاجموا مقر إقامته بقيادة محمود أفندي النقيب في جمع غفير من الأهالي والمماليك، وجماعة كبيرة من عشيرة العقيل التي تسكن الكرخ، ونهبوه فلم يتركوا به شيئاً من النفائس التي كان داوود باشا حريصاً على اقتنائها، وأشعلوا به النيران، وأسرع الأعيان والعلماء فكتبوا العرائض للسلطان العثماني يرجون منه إسناد الولاية إلى داوود باشا، أو إلى صالح بك نجل سليمان باشا الكبير، ويعلنون استعدادهم لدفع مبلغ كبير، وزيادة الجزية السنوية إلى عشرة آلاف كيس².

وجعلت ثورة البغداديين علي رضا باشا يُسرّع المسير بقواته نحو بغداد، وفرض عليها الحصار مرة أخرى إلى أن ساءت الحالة وشح الطعام، وفي ليلة الخميس 8 ربيع الآخر 1247هـ/ 15 سبتمبر 1831م فتح الأهالي باب المدينة الشرقي، وسمحوا للجيش السلطاني بدخول المدينة، ودخل علي رضا باشا المدينة في 17 من الشهر المذكور، واستسلم داوود باشا الذي أحسن استقباله، وهدأ من روعة، وترك له الحرية في استقبال من يشاء دون أن يحيطه بحرس إلى أن سافر إلى الآستانة³، وقضى العثمانيون على المماليك في العراق بعد سقوط داوود في مذبحه على شاكلة مذبحه القلعة التي دبرها محمد علي في مصر، فإن من يتعمق في تفاصيل المؤامرة التي دبرها علي رضا باشا للمماليك سنة 1831، ويقارنها بتفاصيل المؤامرة التي دبرها محمد علي للمماليك مصر 1811 يجد تماثلاً

¹علي الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الأول: من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر، (بغداد: مطبعة الإرشاد، 1969)، ص 277.

²يوسف عز الدين: المرجع السابق، ص 59.

³عباس العزاوي: تاريخ العراق بين إحتلالين، ج 5، ص 325، 327.

كبيراً¹، فقد دعى علي رضا المماليك إلى حفل قراءة بعض الفرمانات والتعيينات فاتخذ المماليك زينتهم وذهبوا إلى مكان الحفل، وبعد أن اجتمع شملهم انهار عليهم الرصاص فحاة من كل جانب من الرماة الذين كانوا يحيطون بالمكان، ففضي عليهم، ثم صدرت الأوامر بقتل من كان منهم في بغداد أو خارجها، فكانت مذبحه حاسمة لم تقم للمماليك بعدها قائمة².

ولما دخل علي رضا باشا بغداد، أخذ يبحث عن رجال داوود باشا ومعاونيه ويزج بهم في السجن، وكان الألوسي واحداً ممن طالتهم الحنة، وحلت بهم المصائب، فخاف وتوارى عن الأنظار. وهو يروي قصة اختفائه، فيقول: "اختفى هذا العبد الحقيير زمن فتح بغداد، بعد المحاصرة سنة 1247هـ؛ خوفاً من العامة وبعض الخاصة؛ لأمرٍ نُسبت إليّ، وافترأها بعضُ المنافقين عليّ في سردابٍ عند بعض الأحبّة ثلاثة أيام"³.

● دوره في ثورة بغداد

كان طبيعياً أن يتوقع أبي الشاء الألوسي عقاباً صارماً من جانب الباشا المنتصر، علي رضا، فتخفى في محلة الشيخ عبد القادر الكيلاني، عقب دخول علي رضا باشا بغداد، إذ نسب إليه منافسوه وخصومه من أعمال التأييد لداوود باشا، والثورة على العمري، فأغلظوا قلب الوالي الجديد عليه، فضاقت عليه الأرض بما رحبت، وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وظل على هذا الحال حتى عاد من الشام⁴ عبد الغني الجميل زاده

¹ لتفاصيل مذبحه القلعة التي دبرها محمد علي للمماليك. راجع، عبد الرحمن الحبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبدالرحيم، (القاهرة: مكتبة الأسرة، 2003)، الجزء السابع، ص 206-213.

² عباس العزاوي: تاريخ العراق بين إحتلالين، ج 5، ص 328.

³ أبي الشاء الألوسي: المصدر السابق، ص 23.

⁴ حيث كان قد غادر العراق إلى الشام لتجنب ويلات الحرب بين داود وعلي رضا باشا، وكذلك أخطار الطاعون والفيضان. عبد العزيز سليمان نوار: "مواقف سياسية لأبي الشاء الألوسي"، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع عشر، (1968)، ص 149.

فشجع له لدى الباشا واختاره أمين فتواه، واسند إليه التدريس في الحضرة القادرية "جامع الشيخ عبد القادر الجليلي"¹.

ولكن الظروف كانت قاسية، والتقلبات كانت سريعة، فلا يكاد أبو الثناء الألوسي، يجد طريقه إلى الحياة العامة، حتى وقعت في بغداد ثورة كبيرة، ضد علي رضا باشا. فبعد أن دخل بغداد وأرسل داود باشا مخفوراً إلى اسطنبول، أساء جنوده السلوك في بغداد، فنهبوا الأموال، وعاملوا نساء بغداد بقسوة، حيث كانوا يعذبونهن لإرغامهن على إبراز ما لديهن من أموال مخبأة². وطلب أهل بغداد من علي رضا باشا أن يضرب علي أيدي جنوده، فلم يفعل فكانت انتفاضة الشيخ عبد الغني جميل، مفتي بغداد، ضد الوالي الجديد.

وكان عام 1832 أخطر عام مر بوالي بغداد، علي رضا باشا، حيث إن معظم العراق بدا وكأنه قد خرج عن طاعته، إذ بينما سادت الفوضى والاضطرابات خارج أسوار مدينة بغداد بدأت معركة داخلها بين جنود الوالي وعشيرة العقيل، التي كانت تسكن منطقة الكرخ في الجانب الغربي من بغداد، وكان سبب هذه المعركة هو اشتراك أفراد من عشيرة العقيل في حالة السلب والنهب، التي كانت تعم المناطق المحيطة ببغداد.

غير أن علي رضا باشا كان قادراً على مواجهتها رغم الأزمات الطاحنة التي كان يمر بها، فنشبت معركة بين عشيرة العقيل وجيش الوالي انتهت بانتصار الأخير، وبعد المعركة ركز جهده أولاً في إخماد ثورة بغداد حتى يتفرغ لبقية القوى المناهضة له، واستطاع أن يُخمدها بعد أن أصلاها بوابل من المدافع والقنابل، فنصب مدافعه في مواقع إستراتيجية، وبدأ يرشق معظم الأحياء الثائرة بقنابل مدفعيته، فتبين الثوار أن الاستمرار في الثورة غير مجدي، فتوقف القتال بعد أن ضربت بيت عبد الغني الجميل زادة القنابل، وقام جنود الوالي بنهب الكرخ: دور وأسواق، وأشعلوا فيه النيران، وفي اليوم التالي للمعركة امتلأت الرصافة،

¹ عباس العزاوي: ذكرى أبي الثناء الألوسي، ص 15.

² عباس العزاوي: تاريخ العراق بين إحتلالين، ج 7، ص 49.

التي تقع في الجانب الشرقي من بغداد، باللاجئين القادمين من الكرخ، وعادت سيطرة العثمانيين مرة أخرى على بغداد¹.

وتزعم أبو الثناء ثورة أهل الكرخ، ولعب دورًا خطيرًا خلال تلك الثورة²، إذ أخذ يحرّض الناس على تأييدها، الأمر الذي أدى إلى إلقاء القبض عليه، وجرّد من وظائفه، وسُجن عند نقيب أشرف بغداد. ولما نجح علي رضا باشا في القضاء على تلك الانتفاضة اضطر عبد الغني جميل زادة إلى مغادرة العراق، وتوارى أبو الثناء الألوسي للمرة الثانية، بعدما قيل إن الباشا قد عزم على قتله، فظل مدة ليست بالقصيرة تحت سيف الانتقام، حتى شفع له بعض شيوخ الطريقة النقشبندية لدى الباشا فقبل شفاعتهم فيه³، وعاد الألوسي واعظًا في "الحضرة القادرية".

● موقفه من التوسع المصري

مما لا شك فيه أن الصراع المصري العثماني في العقد الرابع من القرن التاسع عشر كان له تأثيره القويّ على العراق، ذلك أن العراق كان مسرحًا واسعًا للصراع بين محمد علي والسلطان، ولا أقصد صراعًا مسلحًا، بل كان صراعًا دبلوماسيًا، حيث حاول كل من الطرفين المتصارعين اللعب بالعراق كورقة يساوم بها الطرف الآخر، فالسلطان العثماني سعى إلى بث الدعاية المؤيدة له في البلدان التي خضعت لواليه المتمرد عبر علماء العراق في محاولة لتأليب الرأي العام في المشرق العربي عليه، وكذلك سعي محمد علي لتأليب العراق ضد السلطات العثمانية ببث الدعاية وإرسال الرسائل إلى المدن العراقية الكبرى مثل: بغداد، والبصرة، وكربلاء، والنجف، والزيبر⁴، وإلى عشائر العراق الكبرى كعشائر شمر الجربا، وكعب، والمنتفق، تدعوهم إلى أن يأخذوا جانب القضية المصرية، وليثوروا على الوالي

¹ علي عفيفي علي غازي: المرجع السابق.

² عباس العزاوي: ذكرى أبي الثناء الألوسي، ص 48.

³ وقيل منهم الشيخ عبد الفتاح العقراوي. عباس العزاوي: ذكرى أبي الثناء الألوسي، ص 50؛ تاريخ

العراق بين إحتلالين، ج 7، ص 27

⁴F. O.: 78/210, Intelligence from Bagdad, Contained in Report from Wood, 2, August 1832.

العثماني، في الوقت الذي كان الشعب العراقي لديه الميل لتقبل الحكم المصري¹، فقد أعلنت عشائر المنتفق رغبتها في الانضمام لخورشيد²، خاصة وأن الانتصارات المصرية الكبيرة في الشام قد أعطت لهذه الرسائل قيمة كبيرة.

ومن ثم كان الموقف الشعبي المحلي في العراق حاسماً بين الطرفين، حيث خاف الباب العالي من أن تؤدي الدعاية المصرية إلى فقدانه العراق، وانضمامه لمحمد علي فيزداد به قوة، خاصة في ظل تدمير أهله من عودة الحكم العثماني المباشر الذي عاد على أسنة الرماح، وبيحور من الدماء بعدما أقدم علي رضا باشا على تدمير مذبحه المماليك في بغداد سنة 1831، بينما كان محمد علي يعمل على أن يأخذ العراق ورقة يساوم بها السلطان العثماني، ذلك أنه مما لاشك فيه أن العراق كان في متناول محمد علي، ولم يحل دون إتمامه لهذا المشروع إلا الموقف الدولي، وخاصة موقف بريطانيا المعارض لتوسعاته في الخليج³، وفي الشام والأناضول، لأنها خشيت على مصالحها في المنطقة التي تعد همزة الوصل إلى مستعمراتها في الهند والشرق الأقصى.

وكانت عودة الحكم العثماني المباشر إلى العراق يقابلها انهيار في صفوف العثمانيين أمام القوات المصرية في الشام، حيث كان محمد علي قد شرع في السيطرة على الشام بالقوة وزحفت القوات المصرية إلى الشام، وأصبح على قادتها أن يضعوا في حساباتهم القوة العثمانية في العراق. ولهذا أسرعت السلطات العثمانية في العراق لاتخاذ إجراءات ضد المصريين في الشام، تلبية لنداء السلطان العثماني الذي طالب ولاته في مختلف الجهات باستخدام كافة الوسائل ضد محمد علي، الخارج عن طاعة السلطان، خليفة المسلمين.

¹ دار الوثائق القومية: **محافظة الشام، محفظة 68**، وثيقة 198، غاية المحرم 1248هـ/ 29 يونيو 1832م.

² دار الوثائق القومية: **محافظة الحجاز، محفظة 103**، صورة الوثيقة العربية رقم 4 حمراء، من خورشيد باشا إلى باشمعاون جناب داوري، غرة جمادى الثانية 1255هـ/ 11 أغسطس 1839م.

³ إذ أرسل بامستون وزير خارجية بريطانيا بتعليماته إلى القنصل العام البريطاني في القاهرة يطلب منه توجيه إنذار حاسم إلى محمد علي بأن لندن "لا تبارك نواياه الشرقية".

F. O.: 78/ 343, Palmerston to Campbell, 29, November 1838.

وأخذ علي رضا باشا يعبئ أهل العراق فكريًا ضد التوسع المصري، ولكي تكون هذه التعبئة على أسس قوية اعتمد على علمائها ممن كانت لهم كلمة مسموعة بين الجماهير، ورأى أن أبا الثناء الألوسي؛ يستطيع أن يعبئ شعب العراق ضد محمد علي، بل يستطيع أن يكتب إلى ما وراء العراق محرصًا ضده، ومما ساعد على ذلك أن العالم الإسلامي كان بطبيعة تفكيره وتكوينه العقلي أكثر تمسكًا وتعلقًا بوحدة المسلمين تحت حكم السلطان العثماني، ومن ثم كانت الدعوة إلى العمل على تضامن المسلمين تحت قيادة الخلافة العثمانية تلقى أذانًا مصغية، خاصة إذا كانت صادرة من عالم جليل معروف مثل أبي الثناء الألوسي، ذو المكانة الأدبية والدينية بين الأهالي¹.

ومن ناحية أخرى كان أبو الثناء الألوسي مُتفاهمًا مع علي رضا باشا والي بغداد ومُتعاونًا معه كل التعاون بحكم منسبة الذي حصل عليه، حيث إنه تولى منصب الإفتاء في بغداد، كما سبق الذكر، وهو منصب يُجتم على صاحبه أن يأخذ جانب الحكومة التي يعمل فيها².

كما كانت ثورة محمد علي ضد السلطان العثماني فرصة كبيرة لكي يثبت أبو الثناء الألوسي إخلاصه لكرسي الخلافة العثمانية. ومن الجهود التي قام بها في هذا الصدد بتوجيه من علي رضا باشا أنه بعث برسالة إلى محمد بن عون، شريف مكة، يدعوه فيها إلى التمسك بالولاء للسلطان العثماني قائلاً إن "محمد علي المصري المصر على ما يسى ويزري... قد أصر على الفصل بين الخشب ولحائه... فقد ذهب الكثير من الأئمة الأخيار إلى أن قتال البغاة أفضل من جهاد الكفار"³، وكان ذلك الكتاب، الذي أرسله أبو الثناء الألوسي لتحريض شريف مكة على قتال جيش محمد علي، والتمسك بالولاء

¹ وكان العثمانيون ينظرون إلى العلماء العرب بصفة خاصة نظرة احترام وتقدير، لأنهم أقدر على استيعاب مضمون اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، ونطق بها الرسول المصطفى، صلى الله عليه وسلم، ودونت بها كتب الفقه، إلا أن هذه النظرة قد تغيرت في أواخر القرن التاسع عشر كما سيبدو لاحقًا.

² عبد العزيز سليمان نوار: مواقف سياسية لأبي الثناء الألوسي، ص 153.

³ عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1968)، ص 192.

للسلطان، بداية حملات عثمانية شعواء من العراق وخارجه قُصد منها تجميع القوى ضد مصر، وتشكيل جيش من العراق يشد أزر العثمانيين في الجبهة الشامية. وأغلب الظن أن علي رضا باشا كان يبحث عن فقيه جليل، ليكتب كتابًا يؤيد فيه الدولة العلية، ويفند حجة الثائرين المتأثرين بالدعاية المصرية، ولهذا عندما تصادف في ليلة من ليالي شهر رمضان 1250هـ/يناير 1835م أن حضر إلى الحضرة القادرية بينما كان الألوسي يقوم بالوعظ، واستمع إلى خطبته، فأسف على ما أصابه من الاضطهاد، وأعاد إليه جميع وظائفه، وعينه في منصب مفتي بغداد¹، الذي بقي فيه حوالي خمسة عشر سنة، وكلفه بشرح كتاب "البرهان في طاعة السلطان"، لأهداف سياسية، كما سيأتي لاحقًا، لأنه وجد فيه الرجل المطلوب.

والواقع أن الألوسي كان عند حسن ظن الباشا فقد استجاب له بسرعة، وانكب على تأليف كتاب بعنوان "التبيان: شرح البرهان في طاعة السلطان"، شرح فيه كتاب الشيخ عبد الوهاب ياسين حجي زاده "البرهان في طاعة السلطان"، افتتحه بتدريج مدائح طويلة في السلطان وفي الوالي، ثم أخذ بالبحث في شرعية وجود الدولة العثمانية ووجوب طاعة السلطان على جميع المسلمين، فجاء بالأدلة من الكتاب والسنة وشرحها شرحًا وافيًا، وفند أسانيد الشيعة في قاعدة الإمامة المعقودة للمهدي المنتظر.

ولم يكتفِ بذلك بل كتب بإيعاز من الوالي إلى محمد بن عون، شريف مكة، يدعوه إلى التمسك بالولاء للسلطان وترك الولاء لمحمد علي باشا الذي أعلن العصيان²،

¹ عبد العزيز سليمان نوار: مواقف سياسية لأبي النشاء الألوسي، ص 146-148، 151؛ على الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثاني: من 1831 حتى 1872، (بغداد: مطبعة الإرشاد، 1971)، ص 100-103.

² كذلك حاولت الدولة العثمانية تطبيق تلك السياسة، لما نشبت الحرب العالمية الأولى، وهاجم البريطانيون العراق، فانتدب الباب العالي حفيده محمود شكري الألوسي (1857-1924) للسفر إلى نجد، والسعي لدى الأمير عبد العزيز آل سعود (ملك المملكة العربية السعودية بعد ذلك) للقيام بمناصرتها، فقصده الألوسي سنة 1333هـ/ 1914م عن طريق سورية والحجاز، وعرض عليه ما جاء من

كما سبق الذكر، وشن هجومًا شديدًا على محمد علي والي مصر، بسبب ما أقدم عليه الأخير من الاستيلاء على ولايات الشام التابعة للسلطان العثماني، ومن أعمال السيف في جيوش الدولة، بل إنه جعل، كما سبقت الإشارة، "قتال البغاة أفضل من جهاد الكفار" على أساس أن بعض العلماء يرى ذلك، فارتفعت منزلته لدى الدولة العثمانية ارتفاعًا عظيمًا، وترتب على التفاهم بين الألوسي وعلي رضا باشا أن منحه الأخير المراتب والمناصب بسخاء، كما سيرد ذكره لاحقًا.

● أسباب انقلابه من المعارضة للتأييد

في الحقيقة، إن الموقف الذي وقفه أبو الثناء الألوسي في تأييد السلطان ضد الثائرين عليه يحتاج إلى التفسير، خاصة أننا رأينا الألوسي يؤيد ويشارك سابقًا في ثورتين ضد السلطان إحداهما مع داوود باشا عام 1831، والثانية مع عبد الغني الجميل زادة في السنة التالية، فما السبب الذي جعل الألوسي يغير موقفه بهذه السرعة، ويقف موقف العداء الشديد من حركة محمد علي باشا، تلك الحركة التي وصفها بأنها بمثابة الفصل بين الشجر ولحائه، وما هو السر وراء اختلاف موقف أبي الثناء الألوسي من ثورة داوود باشا في العراق، ومحمد علي باشا في الشام، بالرغم من أن الفارق الزمني بين الثورتين لا يزيد عن العام الواحد. يرى أحد الباحثين في تفسير ذلك أن موقف الألوسي في تأييد السلطان كان من قبيل "التقية ومجاراة الولاة الذين لا يراعون إلا ولا ذمة، وبذلك يأمنون على أنفسهم من بطشهم حتى إن أبا الثناء الألوسي لم يجد ما يدفع عنه غائلة الاضطهاد، وإعادة حقوقه المهضومة إلا بتأليف كتابًا كان يعتقد في قرارة نفسه بطلانه"¹.

بينما يرى باحث آخر أن علي رضا باشا قد قدر "قيمة أبي الثناء الألوسي في خدمة مصالح السلطان العثماني في تلك الظروف الحرجة التي تحتاج لرجل علم يستطيع أن

أجله، فاعتذر، فأب ملتزمًا منزله عاكفًا على التأليف والتدريس، فلما دخل البريطانيون بغداد 1335هـ/ 1917م عرضوا عليه القضاء فزهد فيه. خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ج 8، ص 49.

¹ يوسف عز الدين: الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، (بغداد: مطبعة الشعب،

يثبت قلوب الناس على الولاء للسلطان، وقد رأى علي رضا أن يستغل علم ودكاء أبي الثناء الألوسي في تنفيذ أهدافه في العراق، وخارج العراق، وخاصة في مقاومة تيار التوسع المصري، ولاشك أن تكليف علي رضا لأبي الثناء الألوسي بشرح كتاب "البرهان في طاعة السلطان" في تلك الظروف كان جزءاً من مخطط عام وضعه لجعل العراق قاعدة فكرية وعسكرية تعمل ضد التوسع المصري في المشرق العربي"¹. فهو يرى إذن أن علي رضا باشا قد استغل الواجب الديني الذي كان يفرض على علماء السنة في العراق ضرورة أن يبذلوا قصارى جهدهم في سبيل مناصرة الدولة العثمانية السنية.

إضافة إلى أن أهداف محمد علي من التوسع، في الجزيرة العربية والشام، كانت مشوشة وغير واضحة في أذهان أهل العراق، ثم إن خبرات أبي الثناء الألوسي خلال الفترة القصيرة التي سبقت التوسع المصري في الشام كانت معظمها تؤكد أن جيش السلطان العثماني هو المنتصر في النهاية، فقد رأى بعين اليقين كيف تلاشى جيش داوود باشا في أيام معدودات عام 1831، بالرغم من أن داوود كان يقف موقف المدافع عن قضيته إزاء هجوم جيش السلطان عليه، فكيف سيكون الحال إذا كان محمد علي هو المهاجم لولايات الشام، ثم إنه رأى كذلك كيف انهالت القنابل على بغداد عندما ثارت عام 1832 بزعامة عبد الغني الجميل زادة، وأدرك من هذا كله أن جيش السلطان العثماني، خليفة المسلمين، هو المنتصر على جيش الوالي المصري إما عاجلاً أو آجلاً، ومن ثم قرر مناصرة القضية المنتصرة بعدما تعلم الدرس جيداً من التجربتين السابقتين واللتين مر بهما شخصياً.

• النتائج والمكتسبات

في أعقاب فشل ثورة عبد الغني الجميل زاده عام 1832، أثمر الكيد والحسد عزل أبي الثناء الألوسي عن منصب الإفتاء، وُرفعت يده عن الأوقاف، وتغير حاله، ولما كان تعيين مفتي الحنفية والشافعية في الولايات العربية يتم من قبل علماء الدين في الولاية، وتتم المصادقة عليه من قبل الوالي، وكانت منزلة المفتي مهمة في المجتمع العراقي بسبب ما يمارسه من أعمال وثيقة الصلة بالجانب الديني، ولم يكن المفتي يتسلم راتباً معيناً فإن معظم

¹ عبد العزيز سليمان نوار: مواقف سياسية لأبي الثناء الألوسي، ص 152، 153.

المفتين عملوا في التدريس لكسب عيشهم. وقد مر بنا أن الألوسي قد توارى في أعقاب دخول علي رضا باشا إلى بغداد، حيث أتهم بأنه انضم للمناصرين لداود باشا، إلى أن شفع له عبد الغني الجميل زادة، واختاره أمين للإفتاء، وبعد ثورة الأخير على أعوان الوالي أُبعد عن الإفتاء، ومن ثم شعر بمرارة الحرمان والجوع، نتيجة انقطاع مصادر رزقه، فباع معظم منقولات بيته.

ومن ثم كانت فترة الصراع المصري العثماني في الشام فرصة اغتنمها الألوسي ليعيد الصفاء والتفاهم للعلاقات بينه وبين والي بغداد الجديد، وأدى هذا التفاهم إلى أن يخدم كل منهما الآخر خدمات جليلة، فبينما جند الألوسي قلمه وعلمه لخدمة السلطان العثماني، كان علي رضا باشا يدرّ عليه المناصب والترتب بسخاء، فمنحه أوقاف جامع ومدرسة السلطان مرجان، المشروطة لأعلم أهل بغداد، وهي أوقاف تدر خيراً كثيراً¹، ولم يكتفِ الباشا بذلك بل نصبه مفتياً للحنفية 1250هـ/ 1835م². كما حصل على تقدير السلطان ومكافأته فكان أول عربي عراقي يمنحه السلطان نيشاناً، كما منحه رتبة "تدريس الآستانة"، وقضاء أزمير³.

"وبينما كان يشترط فيمن يتولى أوقاف جامع مرجان أن يكون من أعلم علماء عصره، قام الولاة منذ فترة طويلة بتولية أوقافه إلى المفتين، وظل الوضع على ذلك حتى تم تخليص الوقف من أيدي المفتين، ومنحت إدارته إلى من رأته السلطنة السنية أحق به، وهو المفتي السابق المفسر السيد محمود أفندي الألوسي، الذي فسر القرآن الكريم في تفسير له باسمه في ثمانية مجلدات"⁴.

¹ علي الوردي: المرجع السابق، ج 2، ص 105.

² يوسف إيلان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د. ت.) الجزء الأول، ص 3، 4.

³ عبد العزيز سليمان نوار: مواقف سياسية لأبي الشاء الألوسي، ص 154.

⁴ خورشيد باشا: المرجع السابق، ص 128.

وكان اختيار علي رضا باشا له لتولي منصب الإفتاء بمثابة الإنقاذ له، وفي الفترة التي تولى فيها الإفتاء وردت أسئلة دينية من إيران إلى علماء بغداد، أجاب عنها أبو الثناء بردود، لقيت استحسان أهل العراق، والسلطات العثمانية الحاكمة في بغداد وفي الآستانة¹. إضافة إلى موقفه من الدعوة المناصرة للسلطان العثماني، فكافأه علي رضا باشا بحمل السلطان على منحه وساماً من أرفع أوسمة الدولة، وهكذا ذاعت شهرة أبو الثناء، وقصده طلاب العلم من أماكن بعيدة، يدرسون عليه، ويأخذون عنه، وظل، وهو في منصب الإفتاء، يعمل في التأليف، وتدريس العلوم، وقضاء حاجات الناس.

ولما ظهرت نعمة الله على الألوسي، واتسع رزقه، اشترى داراً واسعة، وجعل قسمًا منها لطلابه الذين يغدون إليه من أطراف العراق وكردستان لتلقي العلم عليه، ولم يكتفِ الألوسي باستقبالهم في مسكنه، وإنما امتدت إليه مظلة كرمه، فكان يطعمهم ويتكفل بهم²، الأمر الذي أدى إلى شهرته، وذيوع صيته، والتفاف الطلاب حوله، وازدياد شعبيته، إلى درجة أثارت مخاوف السلطات العثمانية منه، وكان من عاداتها أن تمنع ظهور زعامات دينية أو سياسية يمكن أن تشكل يومًا ما جبهة داخلية قوية تستطيع أن تنادد الباب العالي، إضافة إلى أن الحكومة العثمانية في أعقاب أزمة صراعها مع والي مصر في المشرق العربي، قامت سياستها على إحلال البيروقراطية التركية محل النظم القديمة التي كانت تعتمد، إلى حد كبير، على تعاون العلماء والأدباء مع الوالي، ومن ثمّ كان ارتفاع نجم الألوسي في العراق وخارجه على غير هوى السلطات العثمانية.

وهكذا تهيأت الظروف لأن يوجه محمد نجيب باشا والي بغداد (1842-1848) ضربات متتالية لأبي الثناء الألوسي، إذ عمد إلى عزله عن الإفتاء في شوال 1263هـ/ 1847م³، ورحب الألوسي بذلك معتبرًا أنه غاية مطلبه، حتى يتفرغ لإتمام

¹ عبد العزيز سليمان نوار: مواقف سياسية لأبي الثناء الألوسي، ص 155.

² بلال علي العسيلي: المرجع السابق، ص 30.

³ نفس المرجع، ص 38.

تفسيره¹. ولكن نجيب باشا لم يكتف بذلك بل أقدم على تجريده من أوقاف مدرسة مرجان عملاً بمشورة بطانته، التي أوهمته أن هناك "فتنة خرقاء"² يقودها مفتي بغداد، وأن عزله وتجريده من كل ما في يده هو الوسيلة الوحيدة للقضاء على هذه الفتنة في مهدها. وهكذا ساءت أحوال أبو الثناء، وبلغ من العسر حتى باع كتبه، وأثاث بيته، وعاش بثمانها مدة من الزمن، حتى كاد يأكل "الحصير"، ويشرب عليه "مداد التفسير"³، فلم يجد بُدّاً من السفر إلى الأستانة، استجابة لدعوة السلطان عبد المجيد الثاني (1842-1918) لحضور حفل ختان ولديه عام 1267هـ/ 1851م لعرض أمره على الباب العالي، ليعمل على رفع الحيف الذي وقع عليه، جراء إرسال نجيب باشا رسالة اعتذاره عن حضور الحفل المذكور⁴، والتي كتبها تحت ضغط منه، عن طريق "الباليوز الإفرتساوي"⁵، وكان قد أتم تفسيره، فأخذه معه، والتقى شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت، واقف المكتبة العظمى في المدينة المنورة⁶، فأعرض عنه بسبب ما بلغه عنه من وشاية الواشين وحسد الحاسدين، ولكنه استطاع أن يحمل شيخ الإسلام على تغيير موقفه، إذ لم يطل الوقت حتى دارت بين الاثنين مناقشات ومناظرات علمية أوقفت كلاً منهما على فضل صاحبه فتفاهما وأجاز أحدهما الآخر⁷.

ونقل أبو الثناء إلى دار الضيافة السلطانية، ثم عُرض أمره على الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا، وزار الباب العالي فأكرمه السلطان، وأنعم عليه بخمسة وعشرين ألف قرش إسطنبولي، وله مثلها كل عام، ومنحه شيخ الإسلام خمسين ألف قرش من ماله

¹ أبي الثناء الألوسي: المصدر السابق، ص 24.

² محمد مهدي البصير: نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، (بيروت: دار الرائد العربي، 1990)، ص 223.

³ أبي الثناء الألوسي: المصدر السابق، ص 25.

⁴ محمود شكري الألوسي: المصدر السابق، ص 13.

⁵ أبي الثناء الألوسي: المصدر السابق، ص 25.

⁶ جرجي زيدان: تراجم مشاهير الشرق، ص 226؛ تاريخ آداب اللغة العربية، ص 132.

⁷ محمود شكري الألوسي: المصدر السابق، ص 14، 15.

الخاص، وعرض عليه قضاء أراضوم، فأباه، وهكذا تحسّنت حال أبو الثناء، وعاد إلى بغداد بعد أن غاب عنه قرابة سنتين، وكتب رحلته هذه في كتاب "غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب"، وفي كتابين آخرين سجل فيهما رحلة الذهاب والإياب: "نشوة الشمول في السفر إلى إسلامبول"، "نشوة المدام في العودة إلى دار السلام". وكان خطاطاً بارعاً دون وخط معظم كتبه بخطه الحسن¹، "كاللؤلؤ والمرجان أو العقود في أجياد الحسان، قلده فيه كثير من الرجال فلم يجيده مثله بحال"²، كما نسخ كتب لغيره³. وقد أخذ إجازة الخط من الخطاط سيفان الوهبي، أحد أشهر الخطاطين في بغداد.

وفي أثناء رجوعه من اسطنبول إلى بغداد، اعترته الحمى، وظلت تعاوده بين الحين والآخر، حتى نخل جسّمه، وحضرته الوفاة يوم الجمعة 25 ذي القعدة 1270هـ/ 20 أغسطس 1854م، ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي⁴.

• دوافعه: كسب مادي أم وازع ديني

أبو الثناء الألوسي رائداً من رواد العراق، وأحد أعمدته، مفسراً لا مثيل له في عصره، ومؤرخاً، وفقهياً، وقد نُصّب مفتياً للحنفية وهو في الثلاثين من عمره، وهذا دليل نبوغه وريادته، ومن الصعوبة التنبؤ بالدوافع التي جعلت الألوسي يغير موقفه في هذا الوقت الوجيز من المعارضة إلى التأييد، ولعلها، كانت دوافع مادية بهدف الحصول على منافع دنيوية. وكذلك قد يكون الوازع الديني قد لعب دوراً كبيراً في موقفه هذا، فقد كان العصر، عصر صحوة الأيديولوجيا الإسلامية، في مواجهة الإمبريالية الاستعمارية الغربية للعالم الإسلامي، حتى إن الدولة العثمانية ما كانت تذكر كلمة الترك في ألقاب السلاطين، وعبر العثمانيون عن صلة الرابطة بكلمة الملة، وكانوا يقولون إن الدين هو الملة، وكانوا يلقبون

¹ عباس العزاوي: ذكرى أبي الثناء الألوسي، ص 93.

² محمود شكري الألوسي: المرجع السابق، ص 11.

³ ومن ذلك نسخه كتاب "بهجة النظر في نظم نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر" سنة 1235هـ/

1819م عن نسخة بخط مؤلفه. عثمان بن سند الوائلي البصري: المصدر السابق، ص 24.

⁴ عباس العزاوي: ذكرى أبي الثناء الألوسي، ص 5.

ذلك لأطفال رعاياهم، كما خاضت جيوشهم المعارك تحت شعار إما غازي وإما شهيد، وكان ينظر إليهم أنهم خلفاء المسلمين، امتدادًا واستمرارًا للخلافة العباسية فالأموية فالراشدة.

فقد كانت الدولة العثمانية دولة إسلامية، وكان العرب المسلمون التابعون لها ينظرون إليها كنتيجة للخلافة الإسلامية، وحلقة متصلة بالتاريخ الإسلامي، وتتمه له، ولذا تمسك معظم المفكرين العرب في القرن التاسع عشر بالرابطة العثمانية، ولم يفكروا بالانفصال النهائي عنها والاستقلال التام، وظهر تيار الرابطة العثمانية بشكل واضح بعد ضعف الدولة العثمانية، إذ دعى إلى ضرورة التمسك بها والدفاع عنها في صراعها مع الدول الأوروبية الطامعة فيها والراغبة في القضاء التام عليها. بل ذهب البعض إلى اعتبار الولاء للدولة العثمانية والمحافظة على كيانها جزءًا من العقيدة الإسلامية وركنًا رئيسًا من أركانها¹، ومن المؤكد أن هذه الأفكار كان لها تأثيرها على رجل دين، من الدعاة إلى الإصلاح، تشكّل الأيديولوجيا الإسلامية نواة فكره.

كما أن وقفة أبي الثناء الألويسي إلى جانب داوود باشا الثائر على السلطان، والخارج عن طاعة خليفة المسلمين، لا تعني أن تلك الثورة كانت من أجل فصل العراق عن دولة الخلافة العثمانية، فتلك كانت وجهة نظر السلطان وبابه العالي في ثورة داوود باشا. أما داوود نفسه ومن معه من المماليك والعلماء من أمثال الألويسي، فكانوا يرون أن داوود هو الأكفء لحكم العراق من غيره من ولاة الخارج، الذين كان يبعث بهم السلطان العثماني لحكم ولايات الدولة العثمانية حكمًا مركزيًا، فالمماليك من وجهة نظر الألويسي، أجدر من غيرهم في حكم البلاد، لأنهم كانوا يعيشون بين أهل العراق، وعلمائهم، ويعرفون أساليب حكم هذه البلاد، بعكس الحال بالنسبة لولاة الخارج، الذين يفدون على العراق دون سابقة معرفة به وبأهله، فلا يراعون مكانة علمائهم، ولا يدبرون أموره بمشورتهم، ولهذا لم تعلن ثورة البغداديون المساندة لداوود باشا، الخروج على الباب العالي، بل إنهم في نفس الوقت كانوا

¹ علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914، (بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1978)، ص 120.

يُعلنون الطاعة للسلطان العثماني، وأنهم يدافعون فقط عن العراق ضد جيش علي رضا باشا¹.

إلا أن إقامة الألوسي في الآستانة، جعلته يُعيد النظر في فكرته هذه، وانزوت الأيديولوجيا الإسلامية من تفكيره، لتحل محلها أيديولوجيا القومية العربية، لأنه لمس عن قرب مدى ما كان في قلوب علماء وأدباء ومدرسي الآستانة من كراهية دفينه للعرب بصفة عامة، فهو يقول عن مدرسي الآستانة أنهم "في غاية الاستكبار والأناية، ولولا خوف قطع وظائفهم لأعلنوا بدعوى الربوبية... وقد استمعت كثيرًا منهم فرأيت سُدا وعظهم ولحمته هذيان، وعلى ذلك تجمع لهم الدراهم". ويقول: "رأيت معظم مشايخ إسلامبول يبيعون المناصب للمعزول". ويقول: "علماء القسطنطينية أجهل الناس بالفنون الأدبية، وأما الشعر العربي فطريقه بينهم بالكلية غير مسلوكة، ولا بدع فالعربي بين الترك من قدم متروك". ثم أبدى تألمه من أن أولئك العلماء الأتراك اللذين ليسوا على المستوى العلمي للعلماء العرب يتمتعون بالمرتبات العالية، واحتكروا لأنفسهم المناصب، بحيث لا يشاركون فيها بقية علماء الدولة، وخاصة العرب. فنرى أن مجرد كون العالم عربي كفيلا بأن يحل على نفسه نقمة علماء الآستانة من الأتراك، فيقول: "إن رؤية العالم العربي في أعينهم الموت الأحمر، وإن صحبته ولو مقدار ذرة في اعتقادهم الذنب الأكبر، والشرك الذي لا يغفر"².

وفي اعتقادنا لو أن رحلة الألوسي هذه سبقت موقفه من الصراع المصري العثماني، لكان له رأي آخر، وموقف مغاير تمامًا لموقفه، الذي وقفه، فدعوته الصريحة إلى حث العلماء العرب على الوقوف في وجه احتكار الأتراك لمجالات التفوق في الحكم والإدارة والأدب، ربما كانت ستجد آذانًا مصغية من شعب العراق، ليقف مساندًا لحركة محمد علي الإصلاحية الرامية لتأسيس إمبراطورية في المنطقة العربية، ولكن لو لا محل لوجودها في التاريخ. كما أننا نرى في تفكيره هذا بداية ميلاد فكرة القومية العربية، وبداية التفكير في فصل الدين عن السياسة.

¹ سليمان فائق: تاريخ بغداد، (بغداد: مطبعة المعارف، 1962)، ص 82، 89، 90.

² أبي الشاء الألوسي: المصدر السابق، ص 173، 188، 313، 169.

المصادر والمراجع

أولاً: وثائق عربية غير منشورة

1. دار الوثائق القومية: دفاتر ديوان المعية سنوية تركي، دفتر 40، من محمد علي إلى برتو أفندي، في 19 رجب 1246هـ/ 4 يناير 1831م.
2. دار الوثائق القومية: محافظ الشام، محافظة 68، وثيقة 198، غاية المحرم 1248هـ/ 29 يونيو 1832م.
3. دار الوثائق القومية: محافظ الحجاز، محافظة 103، صورة الوثيقة العربية رقم 4 حمراء، من خورشيد باشا إلى باشمعاون جناب داوري، غرة جمادى الثانية 1255هـ/ 11 أغسطس 1839م.

ثانياً: وثائق أجنبية غير منشورة

4. F. O.: 78/210, Intelligence from Bagdad, Contained in Report from Wood, 2, August 1832.
5. F. O.: 78/ 343, Palmerston to Campbell, 29, November 1838.

ثالثاً: رسائل جامعية

6. بلال علي العسيلي: منهج الإمام الألوسي في القراءات وأثرها في تفسيره روح المعاني، رسالة ماجستير غير منشورة، (غزة: كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، 2009).

رابعاً: باللغة العربية ومعربة

7. إبراهيم الدروي: البغداديون أخبارهم ومجالسهم، (بغداد: مطبعة الرابطة، 1958).
8. أبي الثناء شهاب الدين محمود أفندي الألوسي: غرائب الاغتراب ونزهة الألباب، (بغداد: مطبعة الشابندر، 1327هـ).
9. أحمد لطيف الجنابي: "علوم القرآن الكريم"، في كتاب: حضارة العراق، ج 11، (بغداد: 1985).
10. إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (استانبول: وكالة المعارف الجليلية، 1955).
11. السيد محمد المخلاوي البغدادى: تاريخ الأسر العلمية في بغداد، عماد عبد السلام رؤوف (تحقيق)، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1997).

12. جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج4، شوقي ضيف (تحقيق)، (القاهرة: دار الهلال، د. ت.).
13. جرجي زيدان: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج2، (القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، 2011).
14. خورشيد باشا: رحلة الحدود بين الدولة العثمانية وإيران، مصطفى زهران (ترجمة)، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2008).
15. خير الدين الزكلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج1، (بيروت: المؤلف، 1969).
16. دوبريه: رحلة دوبريه إلى العراق 1807-1809، الأب بطرس حداد (ترجمة)، (بغداد: شركة الوراق للنشر المحدودة، 2011).
17. سليمان فائق: تاريخ بغداد، (بغداد: مطبعة المعارف، 1962).
18. شوقي ضيف: المقامة، (القاهرة: دار المعارف، 1954).
19. عباس العزاوي: ذكرى أبي الشتاء الألوسي، (بغداد: شركة التجارة والطباعة العالمية، 1958).
20. عباس العزاوي: مجموعة عبد الغفار الأخرس، (بغداد: شركة التجارة والطباعة، 1949).
21. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين إحتلالين، ج5، (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة، 1953).
22. عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج7، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (تحقيق)، (القاهرة: مكتبة الأسرة، 2003).
23. عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1968).
24. عبد العزيز سليمان نوار: داوود باشا والي بغداد، (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنسر، 1986).
25. عثمان بن سند الوائلي البصري: مطالع السعود تاريخ العراق من سنة 1188 إلى سنة 1242هـ، عماد عبد السلام رؤوف (تحقيق)، (الموصل: مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، 1991).

26. علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914، (بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1978).
27. علي الوردی: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الأول: من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن التاسع عشر، (بغداد: مطبعة الإرشاد، 1969).
28. علی الوردی: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثاني: من 1831 حتى 1872، (بغداد: مطبعة الإرشاد، 1971).
29. علي عفيفي علي غازي: "ثورة عبد الغني الجميل زادة في بغداد 1832"، في كتاب أبحاث ندوة 25 يناير 2011 بين ماضي الثورات العربية وحاضرها، (القاهرة: الجمعية المصرية للدراسات التاريخية والمجلس الأعلى للثقافة، 2012).
30. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفی الكتب العربية، ج2، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993).
31. فردينانوتولاليسوعي: المنجد في الأعلام، (بيروت: دار المشرق، 1978).
32. محمد رجب البيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ج2، (دمشق: دار القلم؛ بيروت: الدار الشامية، 1995).
33. محمد مهدي البصير: نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، (بيروت: دار الرائد العربي، 1990).
34. محمود شكري الألوسي: المسك الأذفر، (بغداد: مطبعة الآداب، 1930).
35. كلوديوس جيمس ريج: رحلة ريج المقيم البريطاني في العراق عام 1820 إلى بغداد وكردستان وإيران، اللواء بهاء الدين نوري (ترجمة)، (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 2008).
36. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، (بيروت: دار صادر، 1977).
37. يوسف إيلان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، ج1، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د. ت.).
38. يوسف عز الدين: الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، (بغداد: مطبعة الشعب، 1958).

39. يوسف عز الدين: داوود باشا ونهاية المماليك في العراق، (بغداد: مطبعة الشعب، 1976).

40. يونس الشيخ إبراهيم السامرائي: القبائل والبيوتات الهاشمية في العراق، (بغداد: مكتبة الشرق الجديد، 1988).

خامساً: مقالات في دوريات

41. أكرم علي حمدان: "الجانب الصوفي في تفسير روح المعاني"، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 14، العدد الثاني (يونيو 2006).

42. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: "تأثر حركة الإصلاح الديني والاجتماعي في مصر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية"، مجلة الدارة، السنة 7، العدد 2 (محرم 1402هـ/ نوفمبر 1981م).

43. عبد العزيز سليمان نوار: "مواقف سياسية لأبي الثناء الألوسي"، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع عشر، (1968).

44. عبد الفتاح مقلد الغنيمي: "أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في غرب أفريقيا"، مجلة الدارة، السنة 5، العدد 3، (ربيع الثاني 1400هـ/ مارس 1980م).

45. فردوس إسماعيل عواد: "عبد الغني جميل حياته وشعره"، مجلة دراسات ربوية، العدد السابع (تموز 2009).